ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.7 No.1 2024

المناهج التعليمية في ضوء السيرة النبوية، واستخدامها في تعليم اللغات

Educational methodologies in light of the Holy Prophet's biography and using them in teaching languages

١.الدكتور حافظ محمد ألطاف

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية بجامعة بنجاب، لاهور، باكستان

m.altaf.1985@gmail.com

٢.الدكتور عبدالقدير فاروق

Abdulqadirfarooqi2020@gmail.com

Abstract

The Holy Prophet Muhammad Peace Be Upon Him is one of the greatest blessings Allah Almighty has bestowed on mankind, making Him as an example for humanity to emulate in all fields of life.

He Peace Be Upon Him was sent as a teacher to humanity, as stated in the Holy Prophet's hadith narrated by Al-Darimi, may God Almighty have mercy on him. (I was sent only as a teacher.) The Almighty sent Him to teach Mankind Qur'an and Sunnah and to purify the hearts of believers from sins and hidden impurities.

His life is full of miraculous doings and matchless wisdom that it is impossible to write all those qualities together. This article presents some significant and indispensable points to be a teacher. These teaching techniques were used by Holy Prophet Peace Be Upon Him hundreds of years ago for stone hearted Arab people of that time. He melted their hearts and molded them to learn and motivated them towards education. This article also describes a brief overview of the qualities a teacher should possess to be successful in his field. And gives to a language teacher guideline to adopt these methodologies in teaching languages by giving these tools some upgrade shapes according to era.

Key words: Teaching methodology, Prophet's biography

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.7 No.1 2024

ملخص البحث

عنوان المقالة يدلّ على الموضوع وأهميته في المعاهد التربوية والجامعات التعليمية، فهذا الموضوع سيسلّط الضوء على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم من حيث كونه بُعث معلِّمًا، كما أنه سيفيد السامعين والقارئين أساليبه ومناهجه عليه السلام في تعليم الأمة التي لم تكن تخضع لأحد. وكيف استطاع عليه الصلوة والسلام أن ساسهم وقادهم مع خشونة قلوبهم قبل بعثته صلى الله عليه وسلم إليهم. وكذلك كيف كان أسلوبه عليه السلام في تعليم الأصناف والأنواع من البشر، سواء كانوا رجالًا أو نساء، أم كانوا صبيانًا أو عبيدًا؟ وكيف تأثرت هذه الطائفة المستهدفة بتعليمه صلى الله عليه وسلم ؟! وما ذا كان شعور وتعليقات الأعداء والمخالفين في تأثير مناهجه التربوية في القوم آنذاك، وحتى في الآونة المتأخرة الحديثة؟ حيث أسلم جماعة كبيرة بقراءة مناهجه التعليمية وطرقه التربوية. وتتمّ المحاولة في إثبات الموضوع من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، وكتب السلف الصالح من سيرة نبوية وتاريخ الإسلام وغيرها إن شاء الله. فأسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعًا لمتابعته عليه والصلوة والسلام في كل مجالات الحياة حتى نفوز في العاجلة والآجلة، والفانية والباقية؛ لأننا أمرنا باقتدائه عليه السلام في كل من شؤونه.

التمهيد

لا شك أن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم من المنن العظيمة التي منّ الله تعالى بها على الإنسانية والبشرية على الأعمّ، وبالأخص على المؤمنين، إذ بعث سبحانه وتعالى لهم خيرَ عباده وأشرفَه وأفضَله، والذي أدبه بعينيه، فجعله بمثابة يقتدي به البشرية في جميع ميادين الحياة ومجالات الدنيا وشؤونها، وعلّمه أشياء ما لم يعلّمها غيره صلى الله عليه وسلّم. فصار عليه الصلوة والسلام معلّمًا من لدن الحكيم الخبير، فبُعث معلِّمًا للإنسانية، كما ورد في الحديث النبوي الشريف في أخرجه الدارمي رحمه الله تعالى.[1] **إنما بُعثتُ معلِّمًا.**

وقد بعثه الله تعالى لتعليم الأمة الكتاب والسنة ولتزكية قلوب المؤمنين عن الآثام والدنائس الباطنة، حيث قال الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[2] فالأية تدلّ على أن الأمور الأربعة من النعم المستقلة حيث لم يراع الترتيب بينها؛ إذ التزكية متفرّعة على التلاوة والتعليم. كما أشار إلى ذلك الإمام الآلوسي في تفسيره.[3] وثبت أيضًا أن المعلّم الناجح لا بدّ وأن يؤثر في قلوب تلاميذه، ويمهّد لهم طريق الفلاح والفوز الأبدي والدنيوي أيضًا، ويؤثر في أخلاقهم حتى يرتقوا إلى درجات الإنسانية التي كانت مفخرة للملائكة ومحسدة للشياطين.

فاتضح فيما ذكرنا من الآية والحديث النبوي أنه صلى الله عليه وسلم بُعث معلّما. فالمعلّم الأول للأمة المحمدية في صورته النقية هو سيّدنا وشفيعنا وحبيبنا وحبيب ربّنا محمد صلى الله عليه وسلم. فهذا، عندالله، يدلّ أن أيّ معلّم في البشرية لا بدّ له من أن يتصف بصفات ذلك المعلّم الأول الجليل الكريم. وذلك المعلّم الجليل هو الذي يبني الأجيال بتعاليمهم وطرق التدريس التى تهدف أفئدة المتعلمين. وبهذا يستحقّ مثل هذا المعلّم أن يضحّى لأجله، ويُدافع عن فكره، ويُعظَّم في حضرته وغيبته. فنرى أحمد الشوقي يعرب عن بعض تلك المشاعر الجليلة التي تحملها أو ينبغى أن تحملها قلوب التلامذة والمتعلمين تجاه معلميهم.فأنشد في فضل الأستاذ والمعلّم

قُم لِلمُعَلِّمِ وَفِّهِ التَبجيلا ... كادَ المُعَلِّمُ أَن يَكونَ رَسولا
أَعَلِمتَ أَشرَفَ أَو أَجَلَّ مِنَ الَّذي ... يَبني وَيُنشِئُ أَنفُساً وَعُقولا
سُبحانَكَ اللَهُمَّ خَيرَ مُعَلِّمٍ ... عَلَّمتَ بِالقَلَمِ القُرونَ الأولى
أَخرَجتَ هَذا العَقلَ مِن ظُلُماتِهِ ... وَهَدَيتَهُ النورَ المُبينَ سَبيلا [4]

فنبيّنا صلى الله عليه وسلّم معلم لم يره البشرية أحسن منه،وهو الذي لن يولد أكبر معلّم منه فى البشر،فسبب حسن تعليمه تديّن لتعليمه وتربيته أمّمٌ كثيرة، وتُبجّله شعوبٌ واقوامٌ مختلفة فى شتى أنحاء المعمورة تعدّ بمئات ملايين ، وتخضع لقوله، وتسترشد بهديه، وتلتمس رضوان الله تعالى فى اتباعه والاقتداء به.

ومن تأمل حسن رعايته صلى الله عليه وسلّم للعرب -مع طباعهم القاسية، وخشونتهم الشديدة،وأمزجتهم المتنافرة، فعلّمهم وأرشدهم بطرق لينة حكيمة إلى أن انقادوا إليه ، والتفّوا حوله، وقاتلوا أمامه ودونه أعزّ الناس عندهم: أباءهم وأقاربهم، وآثروه على أنفسهم وهجروا فى طاعته ورضاه أحباءهم وأوطانهم وعشيرتهم وإخوانهم- علم قطعًا وشهد أنه صلى الله عليه وسلم هو الجدير لهذا المنصب الجليل وهو الأحرى لهذه الوظيفة الغالية الرفيعة.

يقول كارليل فى حال العرب : هم قوم يضربون فى الصحراء ، لا يؤبهُ لهم عدةَ قرون ، فلما جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم اصبحوا قبلة الأنظار فى العلوم والعرفان، وكثروا بعد القلة وعزّوا بعد الذلة، ولم يمض قرن حتى استضاءت أطراف الأرض بعقولهم وعلومهم [5].

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.7 No.1 2024

فلا بدّ لمعلم أي كان اختصاصه أو مادة تخصصه أن يكون خبيرًا بأهمّ طرقه في التدريس، وأنفع أساليبه عليه الصلوة والسلام في التعليم. والآن أريد أن أركّز على أهمّ أساليبه صلى الله عليه وسلم في التعليم حتى يفيد القارئين في مقالة صغيرة التعرّف بها.

بعض المناهج المختارة في التعليم والتربية في ضوء السيرة.

1:حضّه صلى الله عليه على محو الأمية والعامية والجهل والتشديد فيه

جاء النبي بمنهج غريب في تعليم الأمة وتعلمها لم يشهده التاريخ قبله، حيث جعل من واجبات العالم التعليم ومن واجب الجاهل أن يتعلّم حتى لا يبقى المجتمع جاهلًا، بل ما أورده المنذري في كتابه الترغيب والترهيب حديثٌ تقشعرّ منه القلوب، وترتعد عند سماعه الفرائص، حيث جعل المقصرين من المتعلمين والمعلمين ممن يخاف فيهم نزول العقوبة في الدنيا. وإليكم نصّه:

عَن عَلْقَمَة بن سعيد بن عبد الرَّحْمَن بن أَبْزَى عَن أَبِيه عَن جده قَالَ خطب رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم ذَات يَوْم فَأَثْنى على طوائف من الْمُسلمين خيرا ثمَّ قَالَ مَا بَال أَقوام لَا يفقهُونَ جيرانهم وَلَا يعلمونهم وَلَا يعظونهم وَلَا يأمرونهم وَلَا ينهونهم وَمَا بَال أَقوام لَا يتعلمون من جيرانهم وَلَا يتفقهون وَلَا يتعظون. وَالله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم ويأمرونهم وينهونهم وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون أَو لأعاجلنهم الْعُقُوبَة ثمَّ نزل فَقَالَ قوم من تَرْوْنَهُ عَنى بهؤلاء قَالَ الْأَشْعَرِيين هم قوم فُقَهَاء وَلَهُم جيران جُفَاة من أهل الْمِيَاه والأعراب فَبلغ ذَلِك الْأَشْعَرِيين فَأتوا رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَقَالُوا يَا رَسُول الله ذكرت قوما بِخَير وذكرتنا بشر فَمَا بالنا؟ فَقَالَ: ليعلّمنّ قومٌ جيرانهم وليعظُنّهم وليأمرُنّهم ولينهوُنّهم وليتعلمَنّ قومٌ من جيرانهم ويتّعظون ويتفقّهون أَو لأعاجلنهم الْعُقُوبَة فِي الدُّنْيَا فَقَالُوا يَا رَسُول الله! أنفطِن غَيرنَا فَأَعَادَ قَوْله عَلَيْهِم فَأَعَادُوا قَوْلهم أنفطن غَيرنَا فَقَالَ ذَلِك أَيْضا فَقَالُوا أمهلنا سنة فأمهلهم سنة ليفقهوهم ويعلموهم ويعظوهم ثمَّ قَرَأَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم هَذِه الْآيَة {لعن الَّذين كفرُوا من بني إِسْرَائِيل على لِسَان دَاوُد وَعِيسَى ابْن مَرْيَم} الْمَائِدَة 87 الْآيَة. [6]

فقال الشيخ مصطفى الزرقا في كتابه"المدخل الفقهي العام" تعليقًا على هذا الحديث:" إن هذا الموقف العظيم في اعتبار التقصي في التعليم والتعلّم جريمة اجتماعية يستحق مرتكبها العقوبة الدنيوية، لموقف لم يروِ التاريخ له مثيلًا في تقديس العلم قبل النبي صلى الله عليه وسلم".[7]

2:تعليمه بالسيرة الحسنة والخُلق العظيم

لا بدّ للمعلّم أن يتحلى شخصيته بالعمل والخلق الحسن، لأن المعلّم يلقي الخير إلى الآخرين، فكيف يليق به أن يغفل في أدائه والقيام به، ولذا جعل الله تعالى أسوته صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة يقتدى بها في كلّ أقواله، وأعماله وأخلاقه. وهذا المنهج أقوى المناهج في نقل العلم. ويمكننا أن نستشهد في ذلك بشاهد تاريخي إسلامي، وهو أنه صلى الله عليه وسيم عندما صالح المشركين على شروط معينة، ومنها أن يرجع المسلمون من عامهم هذا عن مكة ويحجوا في عامهم المقبل. فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قوموا فانحروا، ثم احلقوا " فوالله ما قام منهم رجل واحد حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد ، دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي منه الناس، فقالت أم سلمة: يا رسول الله: أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فقام، فخرج، فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك: نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأى الناس ذلك، قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً» [8].

فالطلاب حريصون على اقتداء معلميهم وأساتذتهم، ويتخذونهم قدوة لهم، فلا بدّ للمعلم أن يصير قدوة في معناه الحقيقي.وكذلك ظهر مما ذكرنا آنفًا أن من يعلم الناس يجب أن يكون قدوة فيه، وأن لا ينهى الناس عن شيء ويأتيه.

قال الشاعر- وقد عزى البعض إلى أبي الأسود الدولي-

يا أَيُّها الرَجُلُ المُعَلِّمُ غَيرَهُ ... هَلا لِنَفسِكَ كانَ ذا التَعليمُ
تَصِفُ الدَّواءَ لِذي السَّقامِ وَذي الضَّنا ... كَيما يَصِحَّ بِهِ وَأَنتَ سَقيمُ
وَتَراكَ تُصلِحُ بالرشادِ عُقولَنا ... أَبَداً وَأَنتَ مِنَ الرَّشادِ عَديمُ
فابدأ بِنَفسِكَ فانهَها عَن غَيِّها ... فَإِذا اِنتَهَت عَنهُ فأَنتَ حَكيمُ
فَهُناكَ يُقبَلُ ما تَقولُ وَيَهتَدي ... بِالقَولِ منك وَينفَعُ التعليمُ
لا تَنهَ عَن خُلُقٍ وَتأتِيَ مِثلَهُ ... عارٌ عَلَيكَ إذا فعلتَ عَظيمُ [9]

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.7 No.1 2024

فالذي يريد أن يعلّم غيره فعليه العمل بمقتضاه في البداية، لأن الناس يتقبلون الخير إذا كان صاحبه عاملًا به، وإلا يوجهون إليه نقدًا لاذعًا، ويرون أن هذا الخير لو كان خيرًا كما قاله المعلّم لعمل عليه مسرعًا، فيعتقد أن هذا شيئ لا يعبأ به من قبل المعلم، فكيف أن أتجهّز للعمل به. ولقد أحسن الشاعر الكلام في القضية بعبارة سهلة لا مزيد عليها في الإيضاح.

3: الأخذ بالرفق في التعليم والتربية

لا بد للمعلّم أن يكون سلوكه مع الطلاب والتلاميذ سلوك الأب الرحيم مع أولاده، وهذا الذي يؤثّر في تأديبهم وتربيتهم، ويقرّبهم إلى المعلم فيرغبون في التعلّم ولا يتنافرون من العلم والمعلّم، وهذا الذي جعل قلوب الصحابة تميل إلى معلمهم النبي الكريم، كما أشار إلى ذلك سبحانه وتعالى في قوله:" **{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}**[10]

وتلك صفات كانت من لوازم الدعوة إذ إن المدعوين يحتاجون إلى من يرفق بهم ويعلّمهم أمور دينهم، ففيهم الجاهل وفيهم الصغير وفيهم الكبير، وكل أولئك يلزمهم رفق، وخلق، وحلم، وأناة، ولطف، وحسن تصرف وإلا انفضوا وغضبوا ولم يتبعوا الهدى ممن جاء به.

فنقل الإمام القرطبي في تفسير هذا الجزء من الآية: يا محمد لولا رفقك لمنعهم الاحتشام والهيبة من القرب منك بعد ما كان من توليهم [11] وكذلك الإمام الرازي أحسن الكلام في تفسير الآية ولا سيما في تفسير الرفق النبوي فقال:" المسألة الثانية: إن المقصود من البعثة أن يبلغ الرسول تكاليف الله إلى الخلق، وهذا المقصود لا يتم إلا إذا مالت قلوبهم إليه وسكنت نفوسهم لديه، وهذا المقصود لا يتم إلا إذا كان رحيما كريما، يتجاوز عن ذنبهم، ويعفو عن إساءتهم، ويخصهم بوجوه البر والمكرمة والشفقة، فلهذه الأسباب وجب أن يكون الرسول مبرأ عن سوء الخلق، وكما يكون كذلك وجب أن يكون غير غليظ القلب، بل يكون كثير الميل إلى إعانة الضعفاء، كثير القيام بإعانة الفقراء، كثير التجاوز عن سيئاتهم، كثير الصفح عن زلاتهم، فلهذا المعنى قال: ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولو انفضوا من حولك فات المقصود من البعثة والرسالة".[12]

ومما جاء في الحديث من هذا الباب ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برواية معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه: قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ» [13]

قال الامام النووى رحمه الله : فيه بيان ماكان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عظيم الخلق الذى شهد الله تعالى له به ، ومن رفقه بالجاهل ، ورافقته بأمته وشفقته عليهم، وفيه التخلق بخلقه صلى الله عليه وسلم فى الرفق بالجاهل وحسن تعليمه واللطف به ، وتقريب الصواب إليه.[14]

فاتضح- مما ذكرنا من الشواهد القرآنية على رفق النبي صلى الله عليه وسلم مما فيه درس للمعلمين الذين يتميزون من الغيظ عند معاملتهم مع التلامذة- أهمية الرفق واللين مع الطلاب والمتعلمين.

4:مراعاة الاعتدال فى التعليم والبعد عن الإملال

كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعاهد أوقات أصحابه وأحوالهَم في تذكيرهم وتعليمهم، لئلا يملّوا ، فكان يُراعي فى ذالک القصد والاعتدال، فلا بدّ للمعلم أن لا يطيل درسه وتعليمة لأوقات ممتدة حتى يسأم منه الطلاب، بل لا بدّ للمعلم أن يفكر في نشاط الطلاب حتى يسفيدوا بكلّ تنبة ويقظة. ويشهد لهذا ما ورد في صحيح البخاري في

كتاب العلم، عن شقيق عن أبى وائل قال: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، وَأَبُو مُعَاوِيَةَ، ح وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ - وَاللَّفْظُ لَهُ - حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ بَابِ عَبْدِ اللهِ نَنْتَظِرُهُ، فَمَرَّ بِنَا يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ النَّخَعِيُّ، فَقُلْنَا: أَعْلِمْهُ بِمَكَانِنَا، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ عَلَيْنَا عَبْدُ اللهِ، فَقَالَ: إِنِّي أُخْبَرُ بِمَكَانِكُمْ، فَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ إِلَّا كَرَاهِيَةُ أَنْ أُمِلَّكُمْ، «إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ، مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا. [15]

يقول العلامة العيني في شرحه على صحيح البخاري في بيان الْمَعْنى:" أَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم كَانَ يعظ الصَّحَابَة فِي أَوْقَات مَعْلُومَة، وَلم يكن يسْتَغْرق الْأَوْقَات خوفًا عَلَيْهِم من الْملَل والضجر، كَمَا كَانَ نَهَاهُم بقوله: (لَا يُصَلِّي أحد خاماً وركيه) . وكما قَالَ: (ابدأوا بالعشاء لِئَلَّا تشْغَلُوا عَن الإقبال على الله تَعَالَى بِغَيْرِهِ) . وَعَن الصَّلَاة وَعَن النِّيَّة، وَقد وَصفه الله تَعَالَى بالرفق بأمته فَقَالَ: {عَزِيز عَلَيْهِ ماعنتم} (التَّوْبَة: 128) الْآيَة: [16]

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.7 No.1 2024

فهذا الأمر ممدوح أن يكون في دوام المدرسة والجامعة والدروس فسحة وفترة محددة لتنشيط الطلاب، وهذا ما نراه عادة يتبعه معظم أهل المدارس والجامعات. ولهذه الفترة التنشيطية أثر في قبول الطلاب الدروس والمحاضرات الملقاة إليهم. وهذا الأمر يدلّ على أن المعلم ينبغي له أن يخطط منهجه والمقرر الدراسي حسب الجدول الزمني فيقسم أقساط الدروس بالاتزان من أول يوم إلى آخره حسب مستوى الطلاب ومقتضياتهم، ولا يكون هذا التصميم والتخطيط عشوائيًا من غير نظر وفكر صحيح. ولله درّ العلامة العسقلاني حيث قال:" وكذا تعليم العلم ينبغي أن يكون بالتدريج لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلا حبب إلى من يدخل فيه وتلقاه بانبساط وكانت عاقبته غالبا الازدياد بخلاف ضده" [17]

5:رعايته صلى الله عليه وسلم الفروق الفردية بين المتعلمين

كان النبي صلى الله عليه وسلم يُخاطب كُل واحد بقدر فهمه وبما يلائم منزلته ، وكان يُحافظ على قلوب المبتدئين ، فكان لا يُعلمهم ما يُعلّم المنتهين، وكان يُجيب كل سائل عن سؤاله بما همُّه ويُناسب حالَه. فعلى سبيل المثال جاءه صحابي فالتمس أن يوصيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم، فأوصاه بتقوى الله وإتْباع السيئة الحسنة، ومخالقة الناس بخلق حسن، [18] بينما أتاه آخر فقدّم العريضة نفسها، فأوصاه بأن لا يغضب. [19]

فثبت مما ذكرتُ سالفًا أن اختلاف عقول وأفهام الطلاب من شخص لآخر، ومن جماعة لأخرى. فلا بد للمعلّم الاعتناء بتنزيل الناس قدر عقولهم فيخاطبهم بما يفهمون، ويدع أمورًا لا يستطيعون فهمه، وفي هذا يمكن الاستيناس بما أخرجه الإمام البخاري رحمه الله تعالى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال:" حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ، اللَّهُ وَرَسُولُه". وقد بوّب الإمام البخاري لهذا الحديث بـ" باب من خصّ بالعلم قومًا دون قوم". [20] فثبت أن التعليم لا يمكن فيه المساواة بين الطلاب كلهم، فبعضهم يكون سريع الفهم وبعضهم بطيئ. فلا يمكن للمعلم ولا ينبغي له أن يساوي بين طلابهم في العلم، بل لا بدّ أن يكون الدرس العام مفهومًا لدى الكلّ، ولكن الأذكياء من الطلاب ينبغي أن يرشدهم المعلم بتوجه مزيد والتفات وسيع حتى يتمكنوا من فهم الدرس حسب مستواهم.

6:استخدام الرسم والخط لبيان المطلوب

كان النبي المرسل صلى الله عليه وسلم أرشدنا إلى طريقة تعليم ممكن لدى الطلاب، ووالمتعلم، فجاء بطرق مرئية مع طرق صوتية أيضًا، ومن ذلك ما كان يعلّم أصحابه باستخدام الرسوم والخطوط على الأرض، مما فيه استيناس بأن الصبورة المعاصرة لعلها مأخوذة من هذه الطريقة-والله أعلم- وهذه الطريقة أثبت في نفوس الطلاب وأمكن في قلوبهم في حفظ المعلومات وأسرع في إفهام المقصود. كما ورد في سنن الترمذي أنه صلى الله عليه وسلّم خطّ خطوطًا على الأرض لتفيهم الأجل الإنساني والموت وأمانيه. [21]

7: توضيح المسائل بطريق التعليل

يرغب المتعلم أحيانًا إلى أسباب لحكم ، وبهذا يترسخ العلم في مخه أشدّ ترسخ، فيكون بمنزلة السائل لعلة الحكم، وهذا الأمر كما يفيده في فهم الحكم يمكنه من قياس الأمور واعتبارها على أمثالها بتعدية العلة في قضية أخرى. ويمكننا الاستشهاد لهذا الأمر من حديث ورد في حديث رواه البخاري رحمه الله أن الذباب إذا وقع في إناء فليغمسه كله لأن في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء. [22] فهذا الحديث أفادنا بحكم الغمس للإناء الواقع فيه الذباب مع بيان العلة التي هي الداء والمرض الذي يحمله أحد جناحيه.

8: ضرب الأمثال أثناء التعليم

يلجأ المعلم لضرب المثل عندما تصعب مسألة ما على الأذهان، فيعمد إلى المثل لتبسيطها وتقريبها للفهم. وهذا الأسلوب استخدمها القرآن، وكذلك النبي صلى الله عليه وسلّم في الأحاديث، فعلى سبيل المثال ضرب النبي صلى الله عليه وسلّم المثل لبيان ختم نبوته باللبنة الأخيرة في البيت، فقال: وأنا تلك اللبنة. [23]

فاستخدام الأمثلة مما يسرع إلى الطلاب فهم الدروس والمحاضرات، ويعطيهم فرصة للتفكير الخارجي دون التركيز على المحاضرة والدرس المعين المركّز.

الاستفادة من المناهج التعليمية النبوية في تعليم اللغات

1: ترغيب الطلاب إلى تعليم اللغات وإفادتهم الفوائد الدنيوية والأخروية المبنية عليها مما يشجع الطلاب والمتعلمين على تعليم اللغة، لأن ما من عمل إلا وهو يحتاج إلى داع ومقتض.

2: لا بدّ للمعلّم -لاسيما في مناطق طلابها غير ناطقين باللغة- أن لا ينزل إلى لغتهم الدارجة والمحلية مما يفتح أمام الطلاب أبواب اليسر والفكر في لغتهم الأم والمحلية، وبهذا يجدون أمامهم عوائق عندما يتكلمون باللغة العربية، سالكًا فيه المنهج النبوي أن يكون المعلم ينبغي أن يكون أول من يلتبس بأمر مدروس حتى يكون أسوة لمتعلميه.

3: استخدام طريقة عرض الدروس على الشاشة، مما يمكن استخراجها ضمن خطوط خطّها النبي صلى الله عليه وسلم لتفهيم المسائل كما مرّ قريبًا. ومنها استخدام الصبورة في الصف أرشدنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصله.

4: استخدام الأمثلة أصل نبوي في التمرينات المعاصرة، فلا يهمل الأستاذ تقديم التمرينات لطلابه، حتى يتمكنوا من قياس أسلوب لغوي إلى محل آخر حسب الأمثلة المقدمة إليهم.

5: ينبغي أن يكون المعلم ذا رفق بطلابه، فلا يشدد عليهم عند أخطائهم، بل يفهمهم برفق ولين حتى لا يتنافروا منه، بل يقتربون منه فيستفيدون منه دون أي عائق.

6: إذا سأل الطلاب المتقدمون بعض الأسئلة أو سألوا عن تعليل قاعدة من القواعد اللغوية فيخبرهم حسب مستواهم.

7: يستفاد أيضا أن يصنف الأستاذ طلابهم حسب مستوياتهم وقدراتهم، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يراعي تعليم الأقوام بتخصيص بعضهم بعلم دون بعضهم كما مرّ.

8: وكذلك ينبغي أن يستغل أستاذ اللغة أوقات نشاط الطلاب حتى يتعلموا أكثر، ولا ينبغي أن تكون الفترة الدراسية طويلة يملّ منها الطلاب.

النتائج

أرسل النبي الكريم كمعلّم للبشرية، مما فيه فخر لهذه المهنة المباركة، وأن هذه المهنة هدفها تعليم الناس وتربيتهم، ليس التعليم المجرد بدون الهدف والنية الصادقة.

كان النبي صلى الله عليه استخدم الطرق التعليمية والتربوية المتنوعة في محاضراته، وخطبه، وفي دروسه.

وهذه الطرق جاءت بنتائج إيجابية مما يدعو المعلّمين في العصر الراهن الاطلاع عليها، وتنمية مهارتهم في ضوءها.

لم يكتف النبي صلى الله عليه وسلم على طريقة التعليم الواحدة، بل لاحظ المستوى والفروق الفردية للمتعلمين.كان طلابه صلى الله عليه وسلم يحرصون على دروسه، ويواظبون عليها.

كان النبي صلى الله عليه وسلم يطبق الدرس ببيان العلل والأسباب والحكم.ما كان يكتفي على إلقاء الدروس النظرية المحضة، بل كان يدعو إلى التفكر المزيد مما جعل طلابه وأصحابه يفهمون مناط الأحكام بسهولة، وهذا ما جعلهم أئمة اهتدى بهم اللاحقون.

ما من طريقة التعليم المعاصر النافع إلا نجد له أصلًا في سيرته الوضاءة.

الاقتراحات والتوصيات

1:لا بد في المعاهد التعليمية من تدريس مناهج التعليم في ضوء سيرة النبوية.

2:ينبغي إجراء الدورات التدريبية للمعلمين في المدارس والجامعات.

3:يراعى في التعليم مناهجه صلى الله عليه وسلم للمستويات البشرية المتنوعة حتى يعم النفع للدارسين.

4:يمكن استخدام أخلاقه عليه السلام القيمة لأن يكون الأستاذ قدوة وأسوة لطلابه، حتى لا يهمل تحلّي نفسه.

5: ترجمة هذه المناهج إلى اللغات الأخرى أيضًا من مقتضيات العصر.

6: بعض هذه المناهج يمكن استخدامها في تعليم اللغات أيضًا كما مرّ في صورة النقاط.

فأكتفي بهذا القدر وأسأل الله تعالى أن يوفقنا لاتباع سيرته الرفيعة في كل مجالات الحياة، ولا سيما في مجال التعليم لتحسين الأوضاع التعليمية والتربوية، إذ الشعب والجيل الحاضر بأمسّ حاجة إلى اختيار هذه المناهج والأساليب.وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الهوامش والحواشي

1[1]: "عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِمَجْلِسَيْنِ فِي مَسْجِدِهِ فَقَالَ: «كِلَاهُمَا عَلَى خَيْرٍ وَأَحَدُهُمَا أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ أَمَّا هَؤُلَاءِ فَيَدْعُونَ اللَّهَ وَيَرْغَبُونَ إِلَيْهِ فَإِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ. وَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَيَتَعَلَّمُونَ الْفِقْهَ أَوِ الْعِلْمَ وَيُعَلِّمُونَ الْجَاهِلَ فَهُمْ أَفْضَلُ وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا» ثمَّ جلس فيهم" الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن (المتوفى: 255هـ): مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي). بتحقيق: حسين سليم أسد الداراني. المملكة العربية السعودية.دار المغني للنشر والتوزيع، ط: الأولى، 1412 هـ - 2000 م. 365/1

: 2. سورة آل عمران، الآية:164

: 3. "وهذا التعليم معطوف على ما قبله مترتب على التلاوة وإنما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للإيذان بأن كل واحد من الأمور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر ولو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى: رَبَّنا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ

وَيُزَكِّيهِمْ [البقرة: 129] لتبادر إلى الفهم عدّ الجميع نعمة واحدة وهو السر في التعبير عن القرآن- بالآيات- تارة- وبالكتاب والحكمة- أخرى رمزا إلى أنه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة. "الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (المتوفى: 1270هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني

بتحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت.ط الأولى، 1415 هـ. 325/2-326

: 4. القاضي/حسين بن محمد المهدي: صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال. مكتبة المحامي: أحمد بن محمد المهدي

سُجل هذا الكتاب بوزارة الثقافة، بدار الكتاب برقم إيداع (449) لسنة2009م. 28/1.

: 5. عبد الفتاح أبو غدة، الرسول المعلم وأساليبه في التعليم.بيروت، دار البشائر الإسلامية.ط:أولى.سنة: 1996. الصفحة:11

: 6. المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين (المتوفى: 656هـ): الترغيب والترهيب من الحديث الشريف

بتحقيق: إبراهيم شمس الدين. بيروت، دار الكتب العلمية ،ط: الأولى، 1417. 71/1

: 7. عبد الفتاح، الرسول المعلم. الصفحة:18

: 8. البخاري ،محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي: صحيح البخاري، بتحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ،ط: الأولى، 1422هـ. 193/3 و.فؤاد بن عبد العزيز الشلهوب: المعلم الأول صلى الله عليه وسلم. الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات. 15/1

: 9. شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (المتوفى: 852هـ): المستطرف في كل فن مستطرف. بيروت. عالم الكتب.ط: الأولى، 1419 هـ. 27/1

: 10. سورة آل عمران، الآية:159

: 11 القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى: 671هـ): الجامع لأحكام القرآن:

بتحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. القاهرة، دار الكتب المصرية، ط: الثانية، 1384هـ - 1964 م. 249/4

: 12. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين خطيب الري (المتوفى: 606هـ): التفسير الكبير. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط: الثالثة - 1420 هـ. 407/9

: 13 القشيري، النيسابوري ، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم. بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 381/1

: 14 النووي ،أبو زكريا محيي الدين يحي بن شرف (المتوفى: 676هـ): المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. بيروت، دار إحياء التراث العربي ،ط: الثانية، 1392. 20/5

: 15. البخاري، صحيح البخاري.25/1

: 16. العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين (المتوفى: 855هـ): عمدة القاري شرح صحيح البخاري. بيروت، دار إحياء التراث العربي–. 45/2

: 17. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي: فتح الباري شرح صحيح البخاري. بيروت، دار المعرفة – ، .1379هـ. 163/1

: 18. الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، ، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ): سنن الترمذي.
بتحقيق: بشار عواد معروف. بيروت.دار الغرب الإسلامي، 1998 م. 423/3

: 19. عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصني، قال: «لا تغضب» فردد مرارا، قال: «لا تغضب". البخاري، صحيح البخاري. 28/8

: 20. البخاري، صحيح البخاري.37/1

: 21. عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ:خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا مُرَبَّعًا وَخَطَّ فِي وَسَطِ الخَطِّ خَطًّا وَخَطَّ خَارِجًا مِنَ الخَطِّ خَطًّا وَحَوْلَ الَّذِي فِي الوَسَطِ خُطُوطًا فَقَالَ: هَذَا ابْنُ آدَمَ وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ، وَهَذَا الَّذِي فِي الوَسَطِ الإِنْسَانُ، وَهَذِهِ الخُطُوطُ عُرُوضُهُ إِنْ نَجَا مِنْ هَذَا يَنْهَشُهُ هَذَا، وَالخَطُّ الخَارِجُ الأَمَلُ. الترمذي، سنن الترمذي.216/4

: 22. "إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ، فَإِنَّ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءً وَالأُخْرَى شِفَاءً" البخاري، صحيح البخاري.130/4

: 23. "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يُطِيفُونَ بِهِ، يَقُولُونَ: مَا رَأَيْنَا بُنْيَانًا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا، إِلَّا هَذِهِ اللَّبِنَةَ، فَكُنْتُ أَنَا تِلْكَ اللَّبِنَةَ "" البخاري، صحيح البخاري.1790/4